

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

٩

# البراء بن مالك

نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٩

# البراء بن مالك

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سيرة حمزة (الشمس) دار نشر  
٢ شارع كامل صدق - الفجالة

٥٩٠٨٩٢٠ ت

## البراء بن مالك

عَمَرُ وَسَيْفٌ شَقِيقَانِ شَقِيَّانِ مُشَاغِبَانِ ، لَا  
يَكْفَانِ عَنِ الشَّجَارِ فِيمَا بَيْنَهُمَا ، فَهُمَا  
يَتَشَاوِرَانِ لِأَتْفَةِ الْأَسْبَابِ ، فَيَضْرِبُ كُلُّ مَنِهْمَا  
الْآخَرَ ، وَيَعْلُو صَوْتَاهُمَا بِالصِّيَاحِ وَالصُّرَاخِ .

وَكَانَتْ أُمُّهُمَا تَكْرَهُ سُلُوكَهُمَا هَذَا ، وَكَثِيرًا  
مَا نَبَّهَتْهُمَا إِلَى أَنْ يُحْسِنَ كُلُّ مَنِهْمَا مُعَامَلَتَهُ  
لَشَقِيقِهِ ، وَلَكِنْ بِلَا فَائِدَةٍ .

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ عُمَرُ لِأُمِّهِ : سَاخِذُ الْكُرَةِ  
لَأَلْعَبَ بِهَا مَعَ أَصْحَابِي يَا أُمِّي .

فَهَبَّ سَيْفٌ وَاقِفًا وَقَالَ : لَا ، إِنَّهَا كُرْتِي أَنَا  
وَلَنْ تَأْخُذَهَا .

صرخ عُمرُ : ولكنَّ أبى يقولُ إِنَّهَا كَرُّتَنَا نَحْنُ  
الاثْنَيْنِ .

وبدأ صَوَاتُهُمَا يعلَوَانِ بالصُّراخِ والشَّجارِ .

\* \* \*

وفى هذه الأثناء كان جَدُّهُمَا الَّذى جاءَ  
لزيارتِهِم ، بالبابِ يدقُّ الجرسَ .

قال : ما هذه الضَّوضاءُ ؟ إِنَّ صَوْتَيْكُمَا  
عاليان ، وأنا حزينٌ جدًّا لِسلوكِ كلِّ مِنْكُمَا  
تُجاهَ شقيقِهِ ، فأنتما أسوأَ مِثالٍ للأشقاءَ .

وبعدَ أن دخلَ الجدُّ وجلسَ ، قال : سأحكى  
لكما يا وَلَدَيَّ قِصَّةَ شقيقٍ أحرَقَ يَدَيْهِ كِلَتِيهِمَا ،  
وهو يُنقِذُ شقيقَهُ مِنَ الأسْرِ والموتِ .

قالَ عُمرُ مُستَغْرِبا : أحدثَ هذا حَقًّا ؟ ومن

هُوَ هَذَا الْفِدَائِيُّ الْجَرِيُّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ؟  
قَالَ جَدُّهُمَا : إِنَّهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ ، وَأَخُوهُ  
أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ .

قَالَ سَيْفٌ : دَرَسْنَا فِي الْمَدْرَسَةِ أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ  
كَثِيرَةٍ ، رَوَاهَا أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ .

قَالَ جَدُّهُ : عَاشَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ تِسْعًا وَتِسْعِينَ  
سَنَةً قَضَاهَا كُلُّهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْجِهَادِ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ ، فَكَانَ مِنْ أَشْهَرِ رُؤَاةِ الْحَدِيثِ ، كَمَا  
كَانَ مَوْفُورَ الرِّزْقِ ، كَثِيرَ الْمَالِ ، كَثِيرَ الْأَوْلَادِ .

وَيَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي ذَلِكَ إِلَى دُعَاءِ الرَّسُولِ -  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ ، حِينَ أَحَضَرْتَهُ أُمُّهُ  
إِلَيْهِ لِيَعْمَلَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ عُمُرُهُ آنَذَاكَ عَشْرَ  
سَنَوَاتٍ ، فَقَبَّلَهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -



— بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ : ( اللَّهُمَّ أَكْثَرُ مَا لَهُ  
وَوَلَدَهُ ، وَبَارِكْ لَهُ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ) .

قَالَ سَيْفٌ : وَكَيْفَ أَنْقَذَهُ أَخُوهُ الْبَرَاءُ مِنْ  
الْأَسْرِ وَالْمَوْتِ ؟

قَالَ جَدُّهُ : كَانَ الْبَرَاءُ - كَمَا قَالَ شَقِيقُكَ عُمر -  
فِدَائِيًّا جَرِيئًا قَضَى حَيَاتَهُ كُلَّهَا يَعْمَلُ جَاهِدًا لَنَيْلِ  
شَرَفِ الشَّهَادَةِ ، وَهِيَ الْمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .  
فَكَانَ فِي مُقَدِّمَةِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، دَائِمًا  
مَا يُلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْمَخَاطِرِ طَمَعًا فِي الشَّهَادَةِ ،  
وَاللَّحَاقِ بِمَنْ سَبَقُوهُ إِلَيْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَوَائِلِ .

وَكَانَ الْبَرَاءُ شَدِيدَ الثِّقَةِ بِأَكْرَامِ اللَّهِ لَهُ ، فَعِنْدَمَا  
مَرِضَ وَزَارَهُ بَعْضُ إِخْوَانِهِ ، وَكَانُوا خَائِفِينَ عَلَيْهِ مِنْ  
الْمَوْتِ ، قَالَ لَهُمْ يَا إِيْمَانُ رَاسِخٌ وَثِقَةٌ فِي فَضْلِ اللَّهِ

عليه : لا والله ، لا يحرمُنِي رَبِّي الشَّهَادَةَ .  
وأظهرَ البراءُ في يومِ اليمامةِ بطولَةَ وفِدَاءٍ  
عَظِيمَيْن ، فقد خرجَ معَ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ تحتَ  
إمرةِ خالدِ بنِ الوليدِ لِقِتالِ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ ،  
وجُمُوعِ المُرتدِّينَ عَنِ الإِسْلامِ . وَحَمَى القِتالُ  
واشتَدَّ ، فمُسَيْلِمَةُ وأَعوانُهُ قُوَّةٌ لا يُسْتَهانُ بِها ،  
فقد كانَ جيشُهُم أخطرَ جُيُوشِ الرَّدَّةِ جَمِيعاً .

قال عُمَرُ : ألهذهِ الدَّرَجَةِ كانتَ أَعْدادُ  
المُرتدِّينَ كَبيْرَةً يا جَدِّي ؟

قالَ جَدُّهُ : دَخَلَ في الإِسْلامِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ  
كَثِيرٌ مِنْ ضِعَافِ النُّفُوسِ ، أَسْلَمَ بَعْضُهُمْ إِمَّا خَوْفاً  
مِنْ قُوَّةِ المُسْلِمِينَ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ ، والبعضُ الآخرُ لم  
يَسْتَقِرُّ الإِسْلامُ في قُلُوبِهِمْ بَعْدُ ، فَهَمَّ

حَدِيثُ عَهْدِ الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا مَاتَ الرَّسُولُ — صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بَدَأَ أَصْحَابُ النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ فِي  
الرَّدَّةِ ، أَيْ تَرَكَ الْإِسْلَامَ وَالْعُودَةَ إِلَى الْوَثْنِيَّةِ وَعِبَادَةِ  
الْأَصْنَامِ .

سَأَلَ عُمَرُ : وَمَاذَا كَانَ مَوْقِفُ الْخُلَفَاءِ  
الرَّاشِدِينَ مِنْهُمْ ؟

سَعِدَ الْجَدُّ بِاهْتِمَامِ حَفِيدَيْهِ بِالْقِصَّةِ ، وَقَالَ :  
حَرَصَ كُلُّ مَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى تِلْكَ الْفِتْنَةِ الضَّالَّةِ غَيْرِ  
الْمُهْتَدِيَّةِ ، وَهِيَ فِي مَهْدِهَا .

قَالَ سَيْفٌ : وَكَيْفَ كَانَتْ مَعْرَكَةُ الْيَمَامَةِ  
يَا جَدِّي ؟

قَالَ جَدُّهُ : كَانَتْ مَعْرَكَةً عَنِيفَةً جِدًّا ، وَكَانَتْ  
جُيُوشُ مُسَيْلِمَةَ عَلَى أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ لَهَا ، حَتَّى



كَادُوا أَنْ يَأْخُذُوا بِزِمَامِ الْأُمُورِ وَيَتَقَدَّمُوا عَلَى  
الْمُسْلِمِينَ ، وَتَحَوَّلَ دِفَاعُهُمْ إِلَى هُجُومٍ . وَرَاحَ  
كُلُّ قَائِدٍ يُشَجِّعُ جُنُودَهُ عَلَى الْقِتَالِ ، وَكَانَتْ  
لِلْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ كَلِمَةٌ سَرَتْ فِي الْجِيُوشِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ كَالسَّحَرِ ، فَقَدْ قَالَ :

- يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، لَا مَدِينَةَ لَكُمْ الْيَوْمَ ، إِنَّمَا  
هُوَ اللَّهُ وَالْجَنَّةُ .

قَالَ سَيْفٌ : وَمَاذَا كَانَ يَقْصِدُ ؟  
قَالَ جَدُّهُ : ذَكَرَهُمُ الْبَرَاءُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُقَاتِلُونَ  
لِنَيْلِ الْجَنَّةِ ، لَا لِنَيْلِ الدُّنْيَا ، فَإِنْ تَخَاذَلُوا خَسِرُوا  
الْآثِنِينَ مَعًا ، خَسِرُوا الْمَعْرَكَةَ ، وَسَقَطَتِ الْمَدِينَةُ  
فِي يَدِ مُسَيْلِمَةَ ، فِيمَا النَّصْرُ وَإِمَا الشَّهَادَةُ . أَيْ  
الْمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَاسْتَجَابَ الْجَمِيعُ لِنِدَاءِ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ ،

وتحوّلت جيوشُ المسلمين إلى صاعقةٍ أصابتُ  
مُسليمةً وجُنودَه ، وأجأتهم لأنْ يحتموا بحديقةٍ  
كبيرةٍ عاليةٍ الأسوار أغلقوها على أنفسهم ،  
وحاصرها المسلمون .

فقالَ لهمُ البراءُ بنُ مالك ، الباحثُ عن  
الشَّهادة :

- احمِلُوني وألقُوني عليهم في الحديقة .  
كانَ يُريدُ أنْ يدخلَ الحديقةَ ، ويفتحَ لهم  
أبوابَ الحصن .

ولم يَنتظرِ البراءُ أنْ يفعلوا ، بل أسرعَ واعتلى  
الجدارَ وألقى بنفسِه داخلَ الحديقة ، ثُمَّ فتحَ بابَ  
الحصن لتدخلَ الجيوشُ الإسلاميَّةُ كالصاعقة ،  
تُدمرُ وتُهلكُ أخطرَ جيوشِ الرِّدة ، أي الرُّجوع  
عن الإسلام .

قالَ عُمَرُ : وماذا حَدَّثَ للبراءِ بنِ مالِكٍ ؟  
 أنالَ الشَّهادَةَ كما كانَ يَتَمَنَّى ؟  
 قالَ جَدُّهُ : لا ، فلمَ يَحِنُّ أَجَلُهُ بَعْدَ ، ولكن  
 كانَ من نَصيبِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ جُرْحًا ، ألزَمَتْهُ  
 الفِراشَ شَهْرًا كامِلًا . وقد تَوَلَّى عِلاجَهُ خالِدُ بنُ  
 الوليدِ نَفْسُهُ .

فَعَجَّبَ عُمَرُ وقالَ : قائِدُ الجِيشِ هو الَّذي يُعالِجُهُ !  
 قالَ جَدُّهُ : نَعَمْ ، فإنَّ في ذَليكَ نَوْعًا من  
 الشُّكْرِ والعِرفانِ بِفَضْلِهِ ، فهو الَّذي فَتَحَ بابَ  
 النِّصْرِ لِلْمُسلِمِينَ .

وبَعْدَ أن شَفِيَ البراءُ ، خَرَجَ يَبْحَثُ عَنِ غايَتِهِ  
 الَّتِي يَسْعَى لَهَا وَهِيَ الشَّهادَةُ ، خَرَجَ مَعَ الجُيُوشِ  
 المُتَّجِهَةِ لِحَرْبِ الفُرسِ والرُّومِ ، وكانَ بائِعًا نَفْسَهُ  
 عَلى الدَّوامِ لِلَّهِ ، طالِبًا الشَّهادَةَ لِنَفْسِهِ .

ففى إحدَى الحُرُوبِ مع الفُرس ، لَجَأَ الفُرسُ  
إلى حِيلَةٍ بَشِيعَةٍ لِقَتْلِ المُسْلِمِينَ أو أَسْرِهِم ، فَقَدْ  
اسْتَحْدَمُوا كَلَالِيْبَ (خَطَاطِيْفَ) وَضَعُوهَا فِى  
نَهَآيَةِ سَلَاسِلِ مُحْمَاةٍ بِالنَّارِ ، وَأَلْقَوْا بِهَا مِنْ  
حُصُونِهِمْ عَلَى المُسْلِمِينَ ، فَمَنْ مَسَّهُ كُلاَّبٌ مِنْ  
تِلْكَ الكَلَالِيْبِ فَلَا فِرَارَ لَهُ مِنْهُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنْ شِدَّةِ سُخُونَةِ السَّلْسِلَةِ .

وَتَشَاءُ الْأَقْدَارُ أَنْ يَسْقُطَ كُلاَّبٌ مِنْ تِلْكَ  
الْكَلَالِيْبِ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - أَخَى الْبَرَاءِ -  
وَرَأَى الْبَرَاءُ أَخَاهُ وَهُوَ يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى الْحِصْنِ عَاجِزًا  
أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ ، فَالسَّلْسِلَةُ تَتَوَهَّجُ لَهَا وَنَارًا .

وَأَسْرَعَ الْبَرَاءُ وَانْقَضَتْ عَلَى السَّلْسِلَةِ بِكِلْتَا  
يَدَيْهِ ، غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِمَا قَدْ يَصِيبُهُ ، وَعَمِلَ بِكُلِّ

ما وَسِعَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَعَزَمَ عَلَى تَخْلِيصِ أَخِيهِ .  
قَالَ سَيْفٌ مَشْدُوهَا : أَيْنَجَحُ فِي ذَلِكَ ؟  
قَالَ جَدُّهُ : نَعَمْ ، لَقَدْ نَجَحَ الْبَرَاءُ فِي إِنْقَاذِ أَخِيهِ .  
وَتَسَاءَلَ عُمَرُ : وَيَدَاهُ مَاذَا أَصَابَهُمَا ؟  
قَالَ جَدُّهُ : نَظَرَ الْبَرَاءُ وَمِنْ مَعَهُ إِلَى يَدَيْهِ ، فَلَمْ  
يَرَوْا سِوَى هَيْكَلٍ عَظْمِيٍّ مُحْتَرَقٍ .

سَأَلَ عُمَرُ : وَأَيْنَ ذَهَبَ الْجِلْدُ وَاللَّحْمُ ؟  
قَالَ جَدُّهُ : احْتَرَقَا تَمَامًا حَتَّى تَلَا شَيْئًا مِنْ شِدَّةِ  
تَوْهُجِ السَّلْسِلَةِ .

وَقَضَى الْبَرَاءُ فِتْرَةَ عِلَاجٍ أُخْرَى طَوِيلَةً ، حَتَّى  
شَفِيَتْ يَدَاهُ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُشَارِكَ مِنْ جَدِيدٍ فِي  
الْحُرُوبِ طَلَبًا لِلشَّهَادَةِ ، وَالْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .



قال سيف : ألهذه الدرجة كان يحب أخاه ؟  
 لقد عانى آلاماً كثيرة حتى برئت يداه .  
 قال جده : نعم ، فقد كانا أخوين يجمع  
 بينهما الحب والإيمان ، ثم إن هذا هو السلوك  
 الطبيعي المفروض بين الإخوة بعضهم وبعض ،  
 فلم يفكر البراء في شيء سوى في إنقاذ أخيه  
 من الأسر أو الموت .

\* \* \*

إلى أن حانت اللحظة التي طالما تمنّاها البراء ،  
 لحظة الشهادة في سبيل الله ، فقد خرج البراء  
 لحرب الأهواز — إقليم خاضع للفرس — في  
 معركة تسمى « تستر » .  
 وبدأت المعركة بالمبارزة ، فقتل البراء وحده

مِائَةً مُبَارِزٍ مِنَ الْفُرْسِ .

وطلبَ بعضُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْبَرَاءِ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ  
لَهُمْ بِالنَّصْرِ ، فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ - : ( رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ ، أَى  
ثَوْبَيْنِ بَالِيَيْنِ ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ  
لَأَبْرَهُ ، مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ ) .

فَقَالَ الْبَرَاءُ دَاعِيَا : اللَّهُمَّ امْنَحْنَا اُكْتَاْفَهُم ، اللَّهُمَّ  
اهْزِمْهُمْ وَاَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ ، وَأَلْحِقْنِي الْيَوْمَ بِنَبِيِّكَ ) .

قَالَ عُمَرُ : وَمَنْحَهُ اللَّهُ شَرَفَ الشَّهَادَةِ ؟

قَالَ جَدُّهُ : نَعَمْ ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى لِدُعَائِهِ ، وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ نَصْرًا مُبِينًا ،  
وَكَانَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ الَّتِي طَالَمَا تَمَنَّاها وَطَلَبَهَا .

قالَ عُمَرُ : أَنْتَ عَلَى حَقٍّ يَا جَدِّي ، فَسَلُّوْكَنَا  
أَنَا وَسَيْفٌ ، يَبْعَثُ عَلَى الْحَجَلِ .

قالَ سَيْفٌ : فِعْلا يَبْعَثُ عَلَى الْحَجَلِ ، وَنَحْنُ  
مُتَأَسِّفَانِ ، وَنَعِدُكَ يَا جَدِّي أَنْ تَكُونَ عَلَاقَتَنَا  
أَحَدِنَا بِالْآخِرِ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ .

قالَ جَدُّهُمَا : هَذَا جَمِيلٌ ، فَقَدْ اسْتَفَدْتُمَا مِنْ  
الْقِصَّةِ ، وَأَرْجُو أَنْ تَسْتَمِرَّا عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ  
وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ فِيمَا بَيْنَكُمَا .

قالَ سَيْفٌ : هَيَّا يَا عُمَرُ ، هَيَّا لِنَلْعَبَ بِالْكُرَّةِ  
مَعًا فِي الْحَدِيقَةِ .